الفصل السادس عشر

المهاجرون الاول

رفض المصلحون الانجليز كل تعاليم روما لكنهم أبقوا على كثير من طقوسها. وهكذا فمع أن سلطة روما ومعتقداتها طرحت جانبا فان كثيرا من عاداتها وطقوسها تغلغلت في عبادة كنيسة انجلترا. وقد ادعى المدعون أن هذه الأشياء لا تمس الضمير، وأنه مع كون الكتاب المقدس لا يأمر بها كما لا ينهي عنها فانها ليست شريرة في جوهرها. لكنّ حفظ تلك الطقوس جعل الهوة التي تفصل بين الكنائس المصلحة وروما ضيقة جدا، وقد شدد كثيرون قائلين ان هذه الاشياء قد تزيد من قبول الكاثوليك للعقيدة البروتستانتية.

بدا للمحافظين على القديم والمسايرين المتساهلين أن هذه الحجج مقنعة، ولكن وُجدت جماعة أخرى لم تر هذا الرأي. فحقيقة كون هذه العادات « تؤدي الى إقامة جسر فوق الهوة الفاصلة بين روما والإصلاح » (٢٥٥) كانت في نظرهم حجّة مقنعة ضد الابقاء عليها. لقد نظروا اليها بوصفها سمات العبودية التي تحرروا منها والتي لم يكونوا يرغبون في العودة اليها. وتحاجوا قائلين ان الله قد أثبت في كتابه القوانين اللازمة لتنظيم عبادته، وانه لا يسمح لاحد أن يضيف الى هذه القوانين أو يحذف منها شيئا. ان الارتداد العظيم كان في مبدئه محاولة اضافة سلطة الكنيسة الى سلطان الله.

لقد بدأت روما بأن حرمت على الناس أشياء لم يحرمها الله، وانتهت بأن حرمت على الناس ما قد أمر به أمراً صريحاً.

رغب كثيرون رغبة جادة في العودة الى الطهارة والبساطة اللتين امتازت بهما الكنيسة الاولى. لقد اعتبروا كثيراً من العادات الثابتة التي كانت سائدة في الكنيسة الانجليزية نُصبا للوثنية، ولم تسمح لهم ضمائرهم بأن يشتركوا معها في عبادتها. لكن الكنيسة، استناداً الى السلطة المدنية، لم تكن تسمح بانشقاق أو تخلف عن طقوسها. فكان يطلب من الناس بموجب القانون أن يشتركوا في عباداتها، وكان محرما على الناس عقد اجتماعات غير مرخص بها للعبادة الدينية، ومن خالف هذه القوانين كان يحكم عليه إما بالسجن أو النفي أو الموت.

في أوائل القرن السابع عشر أعلن الملك، الذي كان قد اعتلى عرش انجلترا منذ عهد قريب، عن عزمه على جعل « البيوريتان » « يذعنون ويمتثلون أو ... يطردهم من البلاد، أو يفعل بهم ما هو شر من ذلك » (٢٥٦). فاذ كانوا يطارَدون ويضطهَدون ويسجَنون لم يكونوا ينتظرون أن تتحسن الاحوال في المستقبل، وكثيرون اقتنعوا بأن من يعبدون الله ويخدمونه بموجب ما توحي به اليهم ضمائرهم « ما عادت انجلترا مكانا يصلح لسكناهم » (٢٥٧). وقد عزم بعضهم أخيرا على الالتجاء الى هولندة. فواجهوا صعوبات وخسائر وسجنا، وأحبطت مساعيهم وأسلموا الى أيدي أعدائهم. لكنّ مواظبتهم الثابتة انتصرت أخيرا فوجدوا ملاذا لهم على شواطئ الجمهورية الهولندية الصديقة.

وعند هروبهم تركوا بيوتهم ومتاعهم ووسائل ارتزاقهم. كانوا غرباء في أرض غريبة وبين شعب يختلف عنهم في اللغة والعادات، مما اضطرهم الى الالتجاء الى حِرَف جديدة غير مجرَّبة ليكسبوا ما يقوم بأودهم. فالرجال الذين كانوا في منتصف العمر والذين قضوا حياتهم في حرث الارض كان عليهم عندئذ أن يتعلموا صناعات آلية. ولكنهم بكل سرور قبلوا ذلك الوضع ولم يضيعوا الوقت في البطالة أو التذمر. ومع أنهم مرارا كثيرة كان يعضهم الفقر بنابه فقد شكروا الله على

البركات التي منحت لهم، ووجدوا الفرح والعزاء في شركتهم التي لم يكن يعكرها معكر. « لقد عرفوا أنهم غرباء ولم يكونوا ينظرون كثيرا الى الامور العالمية الزائلة بل كانوا يرفعون عيونهم الى السماء التي هي أعز وطن عليهم. فكانوا يهدئون أرواحهم » (٢٥٨).

المحبة والايمان يتشددان

وفي وسط آلام الغربة والمشقات والضيقات تقوَّت محبتهم وايمانهم. لقد اتكلوا على مواعيد الرب فلم يخذلهم في وقت الحاجة والضيق. وكان ملائكته يقفون الى جوارهم لتشجيعهم وسندهم. وعندما وجَّهتهم يد الله الى عبر البحار، الى بلاد يستطيعون فيها أن يؤسسوا حكومة ويتركوا لاولادهم الارث الثمين، ارث الحرية الدينية، تقدموا فلم يتراجعوا بل ساروا الى الامام في طريق العناية الالهية.

لقد سمح الله بوقوع التجارب على شعبه لكي يعدَّهم لاتمام مقاصده الصالحة نحوهم. ولقد نزلت الكنيسة الى الحضيض لكي تتسامى وترتفع. كان الله عازما أن يظهر قدرته لخيرها لكي يقدم للعالم برهانا جديدا على أنه لن يترك من يتكلون عليه. ولقد تحكَّم في الاحداث لكي يجعل غضب الشيطان ومؤامرات الناس الاشرار تزيد من مجده وتأتي بشعبه الى موضع أمين، فكان الاضطهاد والنفي يفتحان الطريق للحرية.

ان البيوريتان عندما أُكرهوا على الإنفصال عن الكنيسة الانجليزية في بادئ الامر ارتبطوا معا بعهد مقدس كشعب الرب الحر « أن يسيروا معا في كل طرقه المعروفة لديهم والتي سيعرفونها مستقبلا » (٢٥٩). هنا كانت روح الاصلاح الحقيقية ومبدأ البروتستانتية الحيوي. ولهذا الغرض رحل اولئك المهاجرون عن هولندة ليجدوا لانفسهم وطنا في العالم الجديد. وقد خاطبهم جون روبنسون راعيهم، الذي شاءت عناية الله الا يرافقهم، قائلا في خطابه الوداعي لاولئك المنفيين :

وعد بارسال نور الحق

« يا اخوتي اننا موشكون أن نفترق بعد قليل، والرب وحده يعرف ما اذا كنت سأسعد برؤية وجوهكم ثانية أم لا. ولكن سواء أراد الرب ذلك أم لم يرد أوصيكم أمام الله وملائكته المباركين ألا تسيروا ورائي الى أبعد مما سرت أنا وراء المسيح. واذا أعلن لكم الرب شيئا بوسيلة من وسائله فكونوا مستعدين لقبوله كما كنتم مستعدين لقبول أي حق أخبرتكم به في أثناء خدمتي، لانني واثق من أن لدى الرب حقا ونورا أكثر سينبثقان من كلمته المقدسة » (٢٦٠).

« أما من ناحيتي فلا أستطيع أن أنوح على الكنائس المصلحة في حالتها الراهنة بالقدر الكافي، اذ أنهم قد وصلوا الى نقطة في الدين توقفوا عندها ولا يريدون أن يتقدموا الى أكثر مما لديهم من ارشادات رجال الاصلاح. فاللوثريون لا يريدون أن يتعدوا ما قاله لوثر أو رآه ... والكلفينيون ترونهم يتمسكون بشدة بما قد تركه لهم رجل الله العظيم ذاك الذي لم ير كل شيء. هذه تعاسة تستحق الرثاء لأنه مع أن اولئك الرجال كانوا ملتهبين وانوارا مشرقة في زمانهم فانهم لم يستكشفوا كل مشورة الله ولا نفذوا اليها، لكنهم لو عاشوا الى اليوم لكانوا مستعدين لقبول نور جديد كما كانوا عندما قبلوا النور أول مرة » (٢٦١).

« اذكروا عهد كنيستكم الذي فيه أجمعتم على أن تسيروا في كل طرق الرب، ما عرفتم منها وما سوف تعرفون. اذكروا وعدكم وعهدكم مع الله وعهد كل منكم مع الآخرين بأن تقبلوا كل النور والحق الذي سيعلن لكم من كلمته المكتوبة. ولكن فوق هذا ألتمس منكم أن تلتفتوا الى ما تقبلونه كحق : قارنوه وزنوه بميزان الحقائق الكتابية الاخرى قبلما تقبلونه، لانه ليس ممكنا أن يشرق نور المعرفة الكامل مرة واحدة على العالم المسيحي الذي خرج من ظلمات كثيفة ضد المسيح منذ عهد قريب » (٢٦٢).

ان شوق اولئك النزلاء الى التمتع بحرية الضمير هو الذي ألهمهم بأن يصمدوا لمخاطر السفر الطويل في عرض البحر وتحمل المشاق ومخاطر

البرية، وبمعونة الله وبركته أن يضعوا على شواطئ أميركا أساس أمة قوية. ومع أن اولئك النزلاء كانوا قوما أمناء يتقون الله فانهم لم يكونوا يفهمون بعد المبدأ العظيم، مبدأ الحرية الدينية. ان تلك الحرية التي ضحوا في سبيلها بالكثير لكي يستحوذوا بانفسهم عليها لم يكونوا كلهم على السواء مستعدين لان يمنحوها للآخرين. « قليلون جدا حتى من بين طليعة أدباء ومفكري القرن السابع عشر كانوا يفهمون ذلك المبدأ الجليل فهما عادلا، وهو المستوحى من العهد الجديد الذي يعترف بالله على أنه الحكَم والديان الوحيد للايمان البشري » (٢٦٣). ان التعليم القائل بأن الله أعطى الكنيسة حق التسلط على الضمير ووصف الهرطقة وتحديدها ومعاقبتها هو ضلالة من أعظم الضلالات البابوية المتأصلة في النفوس. ومع أن المصلحين رفضوا عقيدة روما لم يتخلصوا تماما من روح التعصب. والظلمة الكثيفة التي لفَّتْ البابويةُ بها العالمَ المسيحي مدى اجيال حكمها الطويلة لم تكن الى ذلك الحين قد انقشعت تماما. فها أحد كبار الخدام في مستعمرة خليج مساشوستس يقول : « ان التسامح هو الذي جعل العالم عدوا للمسيح والمسيحية، والكنيسة لم يلحقها أي ضرر من معاقبة الهراطقة » (٢٦٤) ! وقد سن المستعمرون قانونا ينص على أن أعضاء الكنائس هم وحدهم الذين لهم حق التصويت في انتخاب الحكومة المدنية. وقد تكوّن نوع من كنيسة الدولة، وطلب من كل الشعب أن يساهموا في إعالة رجال الاكليروس، ورُخص للحكام أن يقضوا على الهرطقة، وهكذا صارت السلطة الدنيوية في يدي الكنيسة. ولم يمض زمن طويل حتى أدت تلك الاجراءات الى النتيجة المحتومة : الاضطهاد.

روجر وليمز

بعد مرور احدى عشرة سنة على تأسيس المستعمرة الاولى أبحر روجر وليمز الى العالم الجديد. وهو كغيره من النزلاء الاولين أتى لينعم بالحرية الدينية؛ ولكنّه على خلافهم، رأى ــ ما لم يره غير القليلين من معاصريه ــ أن هذه الحرية هي حق كل فرد لا ينازعه فيه منازع، مهما تكن عقيدته. لقد كان باحثا مجدا في طلب الحق، وكان مثل روبنسون يعتقد باستحالة أن يكون كل النور المستقى من كلمة الله قد حصل عليه الناس بعد. كان وليمز « أول شخص في العالم المسيحي الحديث يؤسس حكومة مدنية على أساس عقيدة حرية الضمير وتساوي الآراء أمام القانون » (٢٦٥). وقد أعلن أنه يجب على الحاكم أن يردع الجريمة، ولكن ينبغي له الا يتسلط على ضمائر الناس. وقال : « يستطيع الجمهور أو الحكام أن يقرروا ما يجب على الانسان نحو أخيه الانسان، ولكن عندما يحاولون أن يأمروا انسانا بالقيام بالواجب نحو الله فانهم يكونون في غير وضعهم ولا يمكن أن يكون هنالك أمان، لانه واضح أنه اذا كان للحاكم سلطان فانه قد يقرر بعض الآراء أو المعتقدات اليوم، ويصدر نوعا آخر غدا، كما قد فعل كثيرون من ملوك وملكات انجلترا على اختلاف عقائدهم، وكما فعل كثيرون من البابوات والمجامع في كنيسة روما، بحيث يصير الاعتقاد كومة كبيرة من الارتباكات » (٢٦٦).

لقد أُمِر الناسُ بالحضور الى الكنيسة المعترف بها، أما المتخلف فتفرض عليه غرامة أو يلقى في السجن. « وقد استنكر وليمز هذا القانون. ان أرادأ مواد القانون الانجليزي هو ذاك الذي يرغم الناس على حضور الكنيسة الابروشية. لقد اعتبر ارغام الناس على الاشتراك في العبادة مع من يخالفونهم في العقيدة انتهاكا صريحا لحقوقهم الطبيعية. ودفع غير المتدينين وغير الراغبين الى العبادة العامة.

بدا كأنه تشجيع على النفاق ... وأضاف قائلاً : " يجب ألا يرغم أحد على العبادة وفروضها بغير رضاه " . واذ اندهش خصومه من آرائه صاحوا قائلين : " ما هذا ! ألا يستحق الاجير أجرته؟ " فأجابهم قائلا : "نعم، ولكن ممن استأجروه "» (٢٦٧).

كان روجر وليمز مكرما ومحبوبا كخادم أمين ورجل ذي مواهب نادرة واستقامة لا تنثني ومحبة حقيقية لعمل الخير، الا أن انكاره الثابت حق الحكام المدنيين في التسلط على الكنيسة ومطالبته بالحرية الدينية يستحيل التسامح فيهما. فقد قالوا ان تطبيق هذا التعليم الجديد « كفيل بأن يهدم سلطة الدولة والحكومة في البلاد » (٢٦٨) وقد حُكم عليه بالنفي بعيدا من المتسعمرات؛ وأخيرا، لكي ينجو من القبض عليه، أرغم على الهرب في وسط البرد وعواصف الشتاء الى الغابة المجهولة.

وقد قال : « لمدى أربعة عشر أسبوعا قُذف بي في ذلك الفصل القارس البرد جدا، ولم أذق طعاما ولا استرحت في فراش، لكنّ الغربان كانت تعولني في البرية »، ولجأت الى شجرة مجوفة لاحتمي فيها من البرد (٢٦٩). وهكذا ظل يواصل فراره المؤلم في وسط الثلوج والغابة غير المطروقة الى أن وجد لنفسه ملاذا بين قبيلة من الهنود الذين كسب ثقتهم ومحبتهم عندما كان يحاول أن يعلمهم حقائق الانجيل.

وبعد شهور قضاها في التنقل والتجوال اتجه أخيرا الى شواطئ خليج ناراجانسيت حيث وضع أسس أول ولاية في العصور الحديثة كانت، بأكمل معنى، تعترف بحق كل انسان في الحرية الدينية. وكان المبدأ الاساسي لمستعمرة روجر وليمز هو هذا : « يجب أن تعطى لكل انسان الحرية في أن يعبد الله حسب نور ضميره » (٢٧٠). وقد صارت مستعمرته الصغيرة التي هي رود آيلاند ملجأ للمضطهدين، وقد كبرت ونجحت الى أن صارت مبادئها الاساسية ــ الحرية المدنية والدينية ــ حجر زاوية الجمهورية الامريكية.

الوثيقة الجليلة القديمة للحرية

وفي تلك الوثيقة الجليلة القديمة التي سجلها أجداد الامريكيين بمثابة صك حقوقهم ــ اعلان الاستقلال ــ أعلنوا قائلين : « اننا نثبت في هذه الحقائق بكل وضوح أن جميع الناس قد خلقوا متساوين، وأن الخالق قد منحهم بعض الحقوق لا ينازعهم فيها أحد، وبين هذه الحقوق الحياة والحرية والسعي في أثر السعادة ». والدستور يكفل باعظم التعبيرات القاطعة الصريحة حرمة الضمير. « لا يوضع شرط ديني ولا يطلب من أحد ذلك ليكون مؤهلا يخول له الحصول على وظيفة ذات أمانة عامة في الولايات المتحدة »، «والكونجرس لن يسن قانونا خاصا بمؤسسة للدين ولا ينهي عن ممارسة الدين بكل حرية ».

حقوق الضمير

« ان واضعي الدستور اعترفوا بالمبدا الابدي وهو أن علاقة الانسان بإلهه تسمو فوق كل تشريع بشري، وان حقوق ضميره لا ينازعه فيها أحد، بل هي وقف عليه. ولم تكن هنالك حاجة الى المحاجة لاثبات هذا الحق، فنحن نحس به في أعماقنا. ان هذا هو الاحساس الذي في تحديه للشرائع البشرية قد أعان كثيرين من الشهداء وأسندهم وهم يقاسون العذابات وتلتهم النار أجسامهم. لقد أحسوا بأن واجبهم نحو الله أسمى من كل تشريع بشري، وأن الناس ينبغي ألا يستخدموا سلطة ما لارغام ضمائرهم. انه مبدأ غريزي في النفس لا يمكن أن يقتله شيء » (٢٧١).

وعندما انتشرت الاخبار الطيبة في كل ممالك أوروبا عن وجود أرض يمكن لكل انسان فيها أن يتمتع بثمار تعبه ويطيع اقتناعات ضميره تقاطر ألوف من الناس قاصدين شواطئ العالم الجديد. وزادت وتضاعفت المستعمرات بسرعة. « ان مساشوستس، بموجب قانون خاص، رحَّبت ترحيبا كاملا وعلى النفقة العامة بالمسيحيين من كل دولة الذين يمكنهم أن يطيروا عبر الاطلانطي

" هروباً من الحروب أو المجاعات أو اضطهاد مضطهديهم ". وهكذا فان الهاربين والمدوسين بالاقدام صاروا، بموجب القانون، ضيوفا على الجمهورية » (٢٧٢). وفي خلال عشرين سنة منذ وطئ الناس أرض بليموث أول مرة استقر ألوف الحجاج في نيو انجلند.

ولكي يضمنوا بلوغ الغرض الذي طلبوه « قنعوا بربح معاش قليل بالركون الى حياة الاقتصاد والكد. ولم يطلبوا من الأرض شيئا غير التعويض المعقول عن كدهم وتعبهم. ولم يروا رؤىا ذهبية تلقي هالة خادعة على طريقهم... بل قنعوا بالتقدم البطيء الثابت لنظامهم الاجتماعي. وبكل صبر تحملوا عوز البرية وهم يروون شجرة الحرية بدموعهم وعرق جباههم حتى تأصلت في البلاد ».

ولقد اعتبر الكتاب المقدس أساس الايمان والعقيدة ونبع الحكمة وميثاق الحرية. وكانت مبادئه تعلم في البيت والمدرسة والكنيسة بكل اجتهاد، وظهرت ثماره في حسن التدبير والذكاء والطهارة والاعتدال. وربما كان الواحد يسكن في مستعمرة بيوريتانية عدة سنين « من دون أن يرى سكيرا أو يسمع انسانا يحلف أو يلاقي متسولا » (٢٧٣). وقد تبرهن أن مبادئ الكتاب المقدس هي أضمن حارس لضمان العظمة القومية. ونمت المستعمرات الضعيفة المنعزلة فصارت اتحادا لولايات قوية، ولاحظ العالم بدهشة سلامَ «كنيسة لا يحكمها بابا، ودولة لا يحكمها ملك » ونجاحهما.

لكنّ سيلا متدفقا غير منقطع من الناس اجتُذبوا الى شواطئ امريكا مدفوعين بدوافع تختلف عن تلك التي كانت للنزلاء الاولين. فمع أن الايمان البدائي الفطري والطهارة بذلا مجهودا واسع النطاق وقوة لصوغ الناس فان ذلك التأثير جعل يتضاءل شيئا فشيئا بنسبة كثرة الوافدين طلبا للمنفعة المادية.

ان اللائحة التي وضعها المستعمرون الاولون والتي بموجبها كان يسمح لاعضاء الكنائس وحدهم أن يصوتوا أو يحصلوا على مناصب في الحكومة المدنية أدت الى أوخم النتائج الوبيلة. لقد قبل هذا الاجراء بمثابة وسيلة من

وسائل طهارة الدولة، ولكن كان من نتائجه تفشي الفساد في الكنيسة. فكون الاعتراف بالديانة شرط التصويت والتوظف جعل كثيرين ممن تدفعهم البواعث والسياسة الدنيوية وحدها ينضمون الى الكنيسة من دون أن تتغير قلوبهم. وهكذا تكونت الكنائس الى حد كبير من أشخاص غير متجددين. وحتى في دائرة الخدمة وُجد بعضٌ ممن كانوا يجهلون قوة الروح القدس المجددة، فضلاً عن الاخطاء التي كانوا يتمسكون بها في العقيدة. وهكذا ظهرت أيضا النتائج الشريرة التي كانت تشاهد في تاريخ الكنيسة منذ أيام قسطنطين الى يومنا هذا، وهي محاولة بناء الكنيسة بمساعدة الدولة، والالتجاء الى السلطة الزمنية لمعاضدة انجيل ذاك الذي قد أعلن قائلا : «مملكتي ليست من هذا العالم » (يوحنا ١٨: ٣٦). ان اندماج الكنيسة في الدولة ولو بقدر طفيف جدا، مع أنه يبدو وكأنه يقرب العالم من الكنيسة فانه في الحقيقة يقرب الكنيسة من العالم.

ان المبدأ الذي دافع عنه روبنسون وروجر وليمز بكل شجاعة والقائل بأن الحق متدرج وبان المسيحيين ينبغي لهم أن يكونوا مستعدين لقبول النور الذي يشرق عليهم من كلمة الله المقدسة، هذا المبدأ العظيم غاب عن عقول نسلهما. فالكنائس البروتستانتية في امريكا ـــ وكنائس أوروبا أيضا ـــ التي نالت حظوة التمتع العظيمة ببركات الاصلاح أخفقت في التقدم الى الامام في طريق الاصلاح. ومع أن جماعة قليلة من الامناء قاموا بين وقت وآخر ليعلنوا الحق الجديد ويكشفوا عن الاخطاء التي اعتنقها الناس طويلا، فان السواد الاعظم من الناس، كاليهود في أيام المسيح والبابويين في عهد لوثر، اكتفوا بالايمان بما قد آمن به آباؤهم والعيشة كما عاشوا. ولذلك عادت الديانة فانحطت حتى صارت مجموعة من الرسميات والطقوس. والضلالات والخرافات التي كان يمكن طرحها جانبا لو ظلت الكنيسة سائرة في نور كلمة الله أبقي عليها واعتنقها الناس. وهكذا خمدت تدريجا الروح التي ألهمها الاصلاح للناس، الى حد أن كانت هنالك حاجة ماسة الى اجراء اصلاح في الكنيسة البروتستانتية كما في

الكنيسة الكاثوليكية في أيام لوثر. فقد كانت هنالك محبة العالم والخمول والركود الروحي وتوقير آراء الناس والاستعاضة عن تعاليم كلمة الله بنظريات البشر.

ان انتشار الكتاب المقدس الواسع النطاق في اوائل القرن التاسع عشر، والنور العظيم الذي أشرق منه على العالم، لم يتبعهما تقدم مماثل في معرفة الحق المعلن أو تدين اختباري صحيح. فالشيطان لم يستطع حينئذ أن يباعد بين الكلمة الالهية وشعب الله كما في العصور السالفة، إذ كانت في متناول أيدي الجميع، لكنه لكي يتمم أغراضه جعل كثيرين يبخسون كلمة الله حقها ويستخفون بها. وقد أهمل الناس تفتيش الكتب، وهكذا ظلوا يقبلون تفسيرات كاذبة ويعتنقون عقائد لا أساس لها في الكتاب.

واذ تحقق الشيطان من فشل محاولاته في سحق الحق والقضاء عليه بواسطة الاضطهاد لجأ الى حيلة التواطؤ التي آلت الى الارتداد العظيم وتشكيل كنيسة روما. وقد أغوى المسيحيين على أن يتحالفوا لا مع الوثنيين الآن بل مع الذين لشدة تعلقهم بأمور هذا العالم برهنوا على أنهم وثنيون كما كان عابدو التماثيل المنحوتة. ولم تكن نتائج تلك الاحلاف أقل خطرا مما كانت في العصور القديمة. وقد ترعرت الكبرياء والاسراف تحت ستار الدين ففسدت الكنائس. وظل الشيطان يفسد ويحرِّف تعاليم الكتاب. والتقاليد التي كانت ستدمر حياة الملايين رسَّخت أصولها. وقد كانت الكنيسة تسند هذه التقاليد وتدافع عنها بدلا من أن تجاهد وتدافع عن « الايمان المسلَّم مرة للقديسين ». وهكذا انحطت المبادئ التي في سبيلها عمل المصلحون وتألموا كثيرا .